عبد الباقي بن مراد العمري الموصلي

(ت1109هـ/1697م)

حياته وشعره مجموعاً محققاً

د. عبد الله المولى (*)

حياته

تنص كلّ الموارد التاريخية والأدبية التي ترجمت لسيرة عبد الباقي العمري(**) على أنه ولد في الموصل، وترعرع فيها، وقرأ العلوم المختلفة على

(*) أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ كليةالاداب.

(**) موارد السيرة

- عصام الدين عثمان بن علي العمري: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، تحـ : سليم النعيمي، مط المجمع العلمي العراقي، 1974، ج1، س51 وما بعدها.
- محمد بن مصطفى الغلامي: شمامة العنبر والزهر المعنبر، تحـ : سليم النعيمي، مط المجمع العلمي العراقي 1977، 51 وما بعدها.
- محمد أمين بن خير الله العمري: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحـ : سعيد الديوه جي، مط الجمهورية، الموصل 1967، ج1، س227 وما بعدها.
- ياسين بن خير الله العمري: الدَّرَّ المكنون في مآثر الماضية من القرون، نسخة: محمود الجليلي، حوادث سنة (1109هـ)الورقة 571-572. ومنهج الثقات في أخبار القضاة، مخطوط، في مكتبة أوقاف الموصل، (خزانة مدرسة الخياط رقم 14/5) الورقة 90-91.
- محمد رؤوف الغلامي: العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي، نشر: عبد المنعم الغلامي، مط أم الربيعين، الموصل 1942، ص2، نشر: عبد المنعم الغلامي، مط أم الربيعين، الموصل 1942، ص2، 27، 265.
- سليمان الصائغ: تاريخ الموصل، مط الكاثوليكية، بيروت 1928، ج2، ص145 وما بعدها.

←

شيوخها، ودرس وحدّث، واظهر فضلاً عظيما، وكان عضداً ومساعداً لأخيه على أموره. ورحل مرات إلى بلاد الروم، وعاصمة الدولة العثمانية، واجتمع بعلمائها، وأخذ عنهم، وذكر أنه تخرج عليه هنالك أناس كثير.

وفي سفرة له إلى اسلامبول، ركب البحر، ولما قرب منها ليدخلها رآه الصدر الأعظم مصطفى باشا بن محمد باشا الكوبرلي وعليه لباس العلماء، فأرسل إليه واستدعاه، فلما حضر بين يديه، قال له الصدر الأعظم:

فيمَ اقتحامكَ لجّ البحرِ تركبـَه وأنت تكفيكَ منهُ مصّةُ الوَشلِ

فأجابه عبد الباقي على الفور، من قول الطغرائي:

اَريدُ بسطةَ كفٍّ اَستعينُ بها على قضاءِ حقوقٍ للعُلا قِلِي

فعلم الصدر الأعظم انه من بيت علم وأدب، فقرّبه وأكرمه.

وفي اسلامبول امتدح عدداً من رجالات الدولة العثمانية، مثل: الصدر الأعظم مصطفى باشا الكوبرلي، المذكور آنفا. وأخيه، الصدر الفاضل احمد باشا ابن محور باشارالكوبرلي، والصدر الشهيد علي باشا، وشيخ الإسلام. كما مدح قاضي قضاة القسطنطينية، وقاضي العسكر يحيى بن صالح، فولا. الأخير قضاء سبع ولايات، منها: الموصل، وكركوك، والبصرة، وعانة... فلما عاد تولى قضاء الموصل، وارسل نواباً عنه إلى باقي الأماكن. وقد كانت مهمة التدريس في الحضرة النبوية اليونسية، تتولاه الأسرة العمرية، بيد أن هذه المهمة قد أخذت منهم. ←

- بسام إدريس الجلبي: أعلام الموصل – المخطوط.
- وينظر:

Sayar, K, Al-Jamil, Acritical Edition of Al-Durr, Al-manun, Fial-Mathir, Al-Madiya Min Al-Qurun of Yasin Al-Umari, R. H. D. university scotland, 1983, vol,2,p210.

فسافر عبد الباقي إلى القسطنطينية في طلب إعادتها، وعرض حاله على صاحب الدولة وشيخ الإسلام، فأعيدت إليه إلى أن توفي شابا سنة (1109هـ / 1697م) ولم يعقب.

- مكانته بين أعيان عصره:

لقد أشاد المؤرخون بأدب عبد الباقي العمري، وعلمه وفضله، وعدوه في جملة أعيان القرن الثاني عشر الهجري. ولابد أن نتعرف المكانة الرفيعة التي احتلها بين أعيان عصره، والثقافة الواسعة التي تمتع بها، وذلك بان نطلع القارئ على الصورة القلمية التي رسمها له أربعة من علماء جيله والأجيال اللاحقة، وهم:

- معاصره، أخوه: أبو الفضائل، علي بن مراد العمري (ت1147هـ / 1734م).
- معاصره، صاحبة وصديقه: مصطفى بن علي الغلامي (ت1140هـ / 1727م).
- قريبه: محمد أمين بن خير الله العمري (ت1230هـ /1788م).
- قريبه الآخر: ياسين بن خير الله العمري (ت بعد 1232هـ / 1816م).

وقد عنى معاصراه بتوسيع الصورة التي رسماها له، وما قالاه فيه يستوعب، ويربي على كلّ ما قاله المؤرخان الآخران، فقد أجمع الأخوان العمريان: محمد أمين، وياسين[1] على انه كان فاضلاً أديباً عاقلاً، وشاعراً لبيباً، من أجلّ اعيان العصر، وعنوانهم. ومن الطريف أن نثبت بعض ما كتبه عنه محمد بن مصطفى الغلامي، فيما يروى عن أبيه الذي عاصر عبد الباقي، فيقول: "عبد

(1) منهل الأولياء 227/1، منهج الثقات، مخطوط، الورقة 90، والدّرّ المكنون، مخطوط، حوادث سنة (1109هـ)، الورقة571.

الباقي أفندي العمري، عالم سارت ركب الأدب بصيته، وجهابذته في ركابه، يثني إليهم عنان قلمة وكرمه، ويثنون بلسان الشكر والشعر على جنابه، أديب تمطق لحلاوة جدّه وهزله ابن نباته وابن سكرة، وتلقى الماوردي والطيبي [2] من شعلة فطنته، وذكاء قريحته ... كنت أرى ان جماعة من أبناء هذا العصر، هم لا غيرهم الشيوخ، فلمّا رأيت أبيات هذا الفاضل، قدمته عليهم، وعلمت أن في صحيفة الزمان ناسخ ومنسوخ. ياله من عزيز سودت السطور وجهها لموته، لابسة عليه ثوب الحداد، ولطمت الطروس خدودها بأنامل الأقلام مظهرة، من المحابر للعزاء ذلك السواد، لأنها في أيام حياته كانت تدعي النسبة إلى خدمته ... حكى لي والدي، قال: كان هذا الفاضل ضريبة من ضرائب الزمان، ومرآة انطبع بصدرها صور معارف المتقدمين انطباع خيالات الأغصان في صحائف الغدران. قال شيخنا الغلامي: كنت في مبتدأ أمري، وقد فقدت أبي، ذلك الأبي الكريم، أطلب العلم والنظم، وأنا في الحالتين يتيم، وأنا والحجرة من النقود والأثاث كلانا أنقى من الراحة، فسمعت في باب المسجد قعقعة لجام هذا المفضال، فأنزلته، وأنا محتشم منه احتشام المفلس من صاحب المال، ولم يزل بعد المباسطة معي يمطر من ديمة فضائله على خميلة أدبي بتوجيه جنان، وطلاقة لسان، وأنا استنزل من جو معاليه بالعتب على زماني طلّ الإحسان...[3].

(2) الشاعر والكاتب جمال الدين بن نباته العصري (ت768هـ / 1366م)، والشاعر محمد بن عبد الله الهاشمي المعروف بابن سكرة (ت 385هـ / 995م)، والقاضي علي بن محمد الماوردي (ت 450هـ / 1058م)، والعالم شرف الدين الطيبي (ت743هـ / 1342م)، من المبرزين في تاريخ الأدب العربي، تنظر مصادر تراجمهم في: (خير الدين الزركلي: الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، بيروت 1979، مج 38/7، 225/6، 327/4، 256/2).

(3) شمامة العنبر/51-55.

أما ما كتبه ابن أخيه عصام الدين بن علي العمري، فهو اجلي صورة قلمية مرسومة له، إذ يقول فيما يروي عن أبيه: "عمي عبد الباقي، فاضل كامل، وكامل فاضل، جبلت طينته بماء الرئاسة، وسارت فواضله بأنواع المكارم والنفاسة، ففضله آية النهار، ومجده هلال جميع الإعصار، ملك زمام الفوائد، فحسن المبادئ والمقاصد، صاغ قلائد المجد لجيد العلا، ونظم عقود اللالي لكل الملا.. نظم ونثر، وهطل فقطر، فكان في الشعر أبلغ من أبي نواس، وفي الذكاء أفرط من إياس [4]، حتى أخبرني الوالد الماجد رحمه الله عن فرط ذكائه، انه قال: كان مصطفى البصير[5] في المعارف خبير، وكان في الحفظ لا يقبل النظير، وكان يلازم المومى إليه، ويجعل معوله دون الناس عليه، ويلازم ناديه، متوقعاً لنثار أياديه... وهو في مجلسه متشرف بتأنسه، فيناشد الأشعار، ويتذاكر عن مواقع النثار، في تلك النضار، ويتفكهون بالنشيد، ويتسامرون بالقصيد، فينتعش، ويتمايل، ويهتز طرباً بكل ما يتناول ويحافظ قصائد من نشيد واحد، ويدعي سماعه في الزمان المتباعد، وينشدها فإذا هو كما قال، من غير ضميمة نقص واختلاف، فيهتز عمّي به طرباً ويستخرج من معادن فكرة جواهراً وذهباً وكان في الغاية سريع النظم، قوى الفهم، منظوم الكلم ... رايق النشيد فابق النظم والقصيد. نظم مرة قصيدة، كاللآلي نضيدة،

(4) الشاعر العباسي أبو نواس، الحسن بن هانيء (ت 198هـ / 814م)، والقاضي اياس بن معاوية المزني (ت122هـ / 740م)، تنظر مصادر تراجمهم في: (الأعلام 2/233،225).

(5) الشيخ مصطفى بن الملا لطفي: من علماء الموصل، كان بصيراً وشاعراً ومدرساً للعلوم الشرعية والقراءة والتفسير والأصول (ت1134هـ / 1721م)، تنظر ترجمته في: (منهل الأولياء 1/ 281، اعلام الموصل بالمخطوط).

وهي في بابها عجيبة، وحشية الألفاظ غريبة، متقاربة الألفاظ، مشكلة على الحفاظ. من قبيل ما ذكره صاحب المستطرف، نقلا عن الأصمعي [6] قوله:

صوتُ صفيرِ البلبلِ هيجَ قلبَ الثّمِلِ

امتحاناً للبصير، وتجربة لحفظة الغزير، فلم يسعه حفظها. وسلم بالذكاء والفهم بالحال. وجرت مداعباتهم على هذا القبيل والمنوال. فكان يتأسف الوالد على فقده إذ مات شاباً، وفات هباباً، وغابت شمس فضله في التراب ..."[7].

ومثل هذه الشهادات تمثله لنا في ظاهرها أدبياً من الطبقة الممتازة – وان كان موقفنا من أدبه سيأخذ وضعاً نقدياً آخر لدينا – ولكنها تؤكد لنا حقيقة كونه ادبياً متدفقاً، معرفة ساعدته على أن يحقق لنفسه بين أدباء القرن الثاني عشر مكانه مرموقة، جايل فيها مصطفى البصير، وإضرابه، فبزهم" واعترفوا بأنه الكبير بينهم، وهو يلوذ في ذلك إلى أرومة تحته، وبعثت فيه العلم والأدب، فضلاً عن النبتة الطيبة في نفسه، وهي الموهبة التي فطر عليها، فغذتها، وانضجتها الحياة العلمية والأدبية في البيئات التي اتصل بها آنذاك. ولهذا فقد لقب بألقاب فخرية، كالشيخ والافندي والعالم والفاضل والأجل ... ومثل هذه الألقاب تشير إلى مكانه الرفيعة التي كان يحتلها والوضع الاعتباري الذي وصل إليه بين أعيان عصره.

شعره

(6) المستطرف في كلّ فن مستطرف، ومؤلفه: محمد بن احمد الابشيهي (ت852هـ / 1448م). أما الأصمعي، فهو: عبد الملك بن قريب، الراوية المعروف (ت216هـ / 831 م).

(7) الروض النضر 1/51-53.

هذا، وبعد أن استوفينا السيرة الحياتية لعهد الباقي العمري، فقد رأينا – ونحن نجيل نظرنا في مواردها – ان له مادة شعرية كبيرة، تستحق الوقوف عليها، ولمّ شتاتها، ودراستها، فارتأينا جمع هذه المادة وتحقيقها أولاً وإرجاء الدراسة إلى وقفة أخرى – بعون الله تعالى – ومجموع شعره الذي توفرنا عليه، هو (741) بيتا، في (22) قصيدة و (57) مقطوعة، يتوزع بين موضوعات وفنون شعرية تقليدية، كالمديح والغزل والمجون والعتاب والفخر، والتشوق إلى الوطن والمراسلات الاخوانية والألغاز ... وهو في كل ذلك لا يخرج عن أطر بناء الشعر العربي في العصر الوسيط، مما سنفصل القول في هذا. وقد فشا في شعره الذي نقلته لنا الموارد تحريف وتصحيف، وسقط، واختلاف في الرواية، مما حملنا على تحري الرواية السليمة بالنظر والمقارنة، ثم إننا رتبنا القصائد والمقطعات في المجموع المحقق الذي أفردنا له هذا المكان، بحسب حروف الهجاء، وترتيب البحور عند الخليل بن احمد الفراهيدي، مع مراعات حركة حرف الروي، ابتداء بالساكنة ثم المفتوحة، فالمضمونة، فالمكسورة، فالمكسوعة بالضمائر .. وقد صدرناها بالتخريجات على مصادرها، وفق ترتيبها التاريخي.

التخريج: شمامة العنبر / 65، تاريخ الموصل 148/2.

قال في بعض مراسلاته، يطلب سرعة الإنشاء في الجواب: (مجزؤ الرمل)

يا أخا ودّي، ومَن في فنـّنا أنمى وأزكى

أرسلِ النظمَ سريعاً مثلَ هاتيكَ وتـلكا

فوحقِ البيتِ والرّ كـ نِ، ومَن أعطى وأبكى

إنه إبن [8] نهاري ليسَ في الغابرِ صـَكّا

فهُما كالعسجدِ المـَسبو كِ فوقَ العاجِ سـَيكا

التخريج: شمامة العنبر/55.

وقال مفتخراً، في بعض مراسلاته: (خفيف)

عجباً للطروسِ، وهي رقاقُ ولها في الفؤادِ أيُّ ادعاءِ

كيف تستملي اللآلي معَ الدُّ رِّمعَ الزّهرِ، معْ [9] شموسِ السماءِ

كذبتْ في ادعائها بمحالٍ فلذا اسودَّ وجهُها للجزاءِ

التخريج: الروض النضر 162/1.

وقال ملغزا في حسام[10] (خفيف)

ما اسمَ شيءٍ أقامَ ملوك الـ أرضِ وانتصروا على الأعداءِ

هو حامٍ، وفيه سامٍ ولكن هو من عهدِ آدم الأسماءِ

سحَّ جوداً على الورى، وكذا ما عكسَ الأمر بانَ للآراءِ

دارهُ الجفنُ، أكلهُ اللحمُ دأباً ومنَ الماءِ شربهُ والدماءِ

---

(8) قطع همزة الوصل في: "ابن" لضرورة الوزن.

(9) سكن العين، في: "مع" الأخيرة لضرورة الوزن.

(10) إشارة إلى: حام وسام، ولديّ نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ.

التخريج: شمامة العنبر/58-59،

والأبيات (1،5 – 12، 14، 18 – 21، 26) في: تاريخ الموصل 146/2 – 147.

وقال معاتباً ومفتخراً في بعض مراسلاته:

(خفيف)

أبمرِّ الغـَدَا [11]، وكرِّ المساءِ عرفَ الخلّ كيفَ رفضُ الوفاءِ

أم كذا كلُّ من يجددُ عهداً لجديرٌ ولوعهُ بالثـّناءِ

أم وشاةٌ تعرضوا، فأعاروا شيمةَ الغدرِ فـَيرةً والجفاءِ

أيـّها الشامتُ المذبذبُ بالو دِّ، أأنت المغيـّر الآراء

لستَ من هؤلاءِ بالصدقِ قِدماً [12] واثقاً، لا ولستَ من هؤلاءِ

فعلامَ اتخذتَ جهدكَ في نقـ ضِ ودادٍ، ونكثِ عهدِ الإخاء

ولمَ اخترتَ ما يشتـّتُ شملاً كانَ مستجمعاً على الآلاءِ

ويحَ قومٍ صافوا أحاديثَ سوءٍ قد عـُزلنَ من حـَيـّزِ [13] الاصغاء

ووشوا، فارتضوا النميمةَ فخراً رُبَّ فخرٍ يكونُ شرَّ الجزاءِ

---

(11) الغدا = الغداة ـ في: الشمامة.

(12) بالصدق قدما = بالصد قوما ـ في: تاريخ الموصل.

(13) من حـيّز = عن حيّز ـ في: الشمامة.

أخليليَ فيمَ استماعكَ للهـ وِ[14]، وفيمَ ارتضوتَ ثديَ الثَـواء

وبما كانَ ذا التجافي، وقلْ لي لِـمْ نبذتَ الودادَ نبذَ العراءِ

أزمانٌ مضى، ونحنُ رضيعي لبنِ الودِّ، مثل دهرِ العفاء

لا وعصرٌ مضى، وعيشُ تقضـّى ليسَ قربُ الحبيبِ مثلَ النواءِ

فئةُ الشعرِ بينَ أسرٍ وسجنٍ في قيودِ الحِجي، وظُـلِم الذكاءِ

وبحارُ المدادِ غاضتْ، وروضُ النـ ـظمِ أذوى من بعدِ ذاكَ النـّماء

وعكاظُ القريضِ من بعد ما بنـ ـتَ بكى رحمةً على الشعراء

برهةً [15] كان في ضياءٍ فأضحى زمناً وهو مظلمُ الارجاءِ

وإلى [16] الله اشتكي جورَ دهرٍ علـَّمتني صروفه بالقضاءِ

أنا في معشرٍ تعاطوا كؤوسَ الـ ـجهلِ، فاسترفعوا على العلماءِ

(14) للهو = لهوا بل ـ في تاريخ الموصل. ولضرورة الوزن مد المقصور في: "الثواء".
رضيعي = رضيعا ـ في: تاريخ الموصل. ولضرورة الوزن أيضا مد المقصور في: "النواء".

(15) البرهة: الحين الطويل من الدهر، بيد ان الشاعر قد أراد بها: الزمن القصير، كما هو الخطأ الدارج بين العامة من الناس.

(16) وإلى = فإلى ـ في: تاريخ الموصل. وقد علـّق الغلامي في: شمامته على هذا البيت يقوله: "هذا المعنى مرقص لن نأمله، لأن هذا الأديب كان في بعض الأوقات يتولى خلافة القضاء بالموصل، فورّى بالقضاء الذي هو عبارة عن تعلق علم الله الأزلي بالأشياء في عالم الغيب، فإذا وقع ذلك القضاء في عالم الشهادة سمي قدراً، وكان الأيمان به واجباً، ورى به عن القضاء، الذي هو عبارة عن حكم القضاة".

جهلوا جهلهم، فظنوهُ علماً ورقوا رُتبةً على الجوزاءِ

ذهبَ العلمُ مثل ما أذهبَ [17] الدهرُ ذويهِ، وغابَ بعدَ الضياءِ

لي حقوقٌ على العُلا سابقاتٌ وزماني مولعٌ بالرّثاءِ

كيفَ من حالَ دونَ مقصدهِ الدهـ رُه فاحتيجَ نصبهُ للنداءِ

ليكَ [18] عنّي يا خليلي، فهذي زفراتٌ طغتْ بوجهِ الماءِ

واتخذْ زهرةَ المعاني، فعنها ثمرُ العزِّ في غصونِ العلاءِ

هذه لفتَة [19] اليراعِ، نَحتّها بنتُ فكرٍ أتت على استحياءِ

تترجّى الصدَّاقَ منكَ قبولاً حسَنَ الملتقى ببشرِ اللقاءِ

لا برحتَ الصديقَ باقٍ على العهـ دِ، عزيزاً، مؤثّلاً بالثناءِ

التخريج: الروض النضر 162/1.

وقال ملغزاً في جدت:

(خفيف)

ما أسمُ شيءٍ لابدَّ للمرءِ منهُ وسيدخلهُ لو تعمرَّ حِقبْاً [20]

فاذا رُمتَ كشفَهُ فاعتبرهُ بعد تصحيفِه، وإلا فجذْبا

(17) أذهب = ذهب ـ في: تاريخ الموصل.

(18) ليك: إليك عني، اسم فعل أمر بمعنى: تنح. فحذفت الهمزة للضرورة.

(19) لفتة = نفثة ـ في: تاريخ الموصل.

(20) سكن لام: "سيدخله"، وقاف: "الحقب"، لضرورة الوزن.

التخريج: شمامة العنبر/66-67.

وقال في المجون:

(سريع)

قال: فما بالُكَ ياسيدي خالٍ بلا لهو ولا لعبِ

وعيشُكَ اليومَ، فخذ ما مضى والعفوُ مأمولٌ من الرَّبِ

قلتُ: فما أصنعُ يا شيخَنا الصيدُ محتاجُ الى الكلبِ

فقال: لو كنتَ في مجلسٍ فيهِ فزالٌ من بني....

قلتُ لهُ: أعبثُ فيهِ، وما أقعدهُ إلا ّ على .....

قال: ولو كانَ بهِ شادنُ فيهِ نـَفارٌ من بني الحـُبِّ

قلتُ لهُ: ... لهُ حيلةٌ إن لم يكن فالحزمُ في الدبِّ

قالَ: ولو كانَ بهِ طفلةً لكنها تحتاجُ للـّقبِ

قلتُ: أفضُّ الختـَم عنها، ولو كانَ افتضاضي موجبَ الصـّلبِ

قالَ: ولو كانَ بهِ ملتحي يميلُ كلَّ الميلِ للسّكبِ

قلتُ له: .... لهُ راحةٌ لأنهُ أدرى من الشَّبِ

قال: ولو كانَ بهِ شائبٌ قد كتـَم الشيبةَ بالخضبِ

قلتُ لهُ: ذلكَ من خصلتي اذ ساحةُ الدارِ على الرَّحبِ

حتى إذا أنهى سؤالي، ولن ينظرَ مني أثرَ الغصبِ

نام يميني جاعلاً وجههُ نحوي، وما نامَ إلى جنبي

قمتُ له أمشي على أربع إذ كان قربي كدتُ أن أكبي

أوصلتُ .. نحوهُ فانتهى للمقعدِ الأدنى، ولم يُنبِ

فحسّ فيهِ داخلاً كلّه حتى إذا قاربَ للصّبِ

فقال لي: أفديكَ نمْ آمناً إنكَ يا ابنَ القومِ من حـِزبي

التخريج: الروض النضر 166/1.

وقال في رجل معني بالنحو: (سريع)

قد قيلَ لي: إن بشيراً أتى يبشّرُ العشاقَ بالقربِ

فقلتُ: هذا خبرٌ قد فشا محتملٌ للصدقِ والكـِذبِ

التخريج: شمامة العنبر/56-57،

والأبيات (7،8،10،11،13،20) في: تاريخ الموصل 146/2.

وقال يمدح قاضي قضاة القسطنطينية(*):

(المنسرح)

أأنتَ [21] في صيدكَ الأسود نبي يا مَن بأفناءِ عاشقيهِ رُبي

(*) جاء في: الدرّ المكنون، حوادث سنة (1134هـ): "وفيها توفي قاضي العسكر محمد بن عبد الحليم، المشهور بجلبي زادة، كان واحدا في العلوم، درس في اسلامبول إلى ان وصل إلى مدرسة السلطان سليم، وفيها ولي قضاء أدرنة، ثم حلب، ثم الشام، ثم كوتاهية، ثم اسلامبول، ثم قضاء عسكر أناضولي سنتين، وعزل إلى أن مات.".

يا خارجيَّ اللحاظِ هل رشأٌ قد قيلَ من قبلُ في الأنام نبي

وكيفَ جازتْ لكَ النبوةُ في الـ حُسنِ، وقد قيلَ: لم ينلْها صبي

وكيفَ تهدي، وقد ضللتَ، وكم ضـلَّ بليلِ الشعورِ كلُّ أبي

لو لم تكن ساحرَ العيونِ لما سخرتَ ذا العاشقينَ للنّوبِ

دع يا أبا الحسنِ ما أدعيتَ بهِ وامزجْ لنا الريقَ بابنةِ العنبِ

طابَ لنا الوقتُ في الربيعِ على مطارقٍ حاكَها ندى السُّحُبِ

راحٌ تسلّي الهمومَ، وقد عُصرتْ من عهدِ أخنوخَ [22] سالف الحِقبِ

بكرٌ كأنَّ المزاجَ واقعَها فنقطتْ، فالحُبابُ من ذهبِ [23]

لو نطقتْ أخيرتْ بما فعلتْ من قِدَمِ العصرِ في بني الأدب

كأنها في الكؤوس ِ فكرُ فتىً متَّقدِ الذّهنِ زائدِ الذهبِ

فاسقنيها طوراً، وتارةً من رضابكَ السكريِّ يا أربي

---

(21) همزة الاستفهام في أول البيت، ساقطة من: الأصل

(22) أخنوخ: معربة من العبرانية، أو السريانية، تعني: نبي الله إدريس ـ عليه السلام -.

(23) علّق الغلامي في: شمامته على هذا البيت بقوله: "في قوله:فنقطت فالحباب من ذهب توريه خفيه لا تظهر لكل أحد، المعنى القريب من قوله: نقطت، من التنقيط، وهو تلصيق الدراهم والدنانير في وجه الرقاص في العرس، ويلائمه قوله: من ذهب، وقرينة الحال في قوله: بكر كان المزاج واقعها، اذ الغالب لمواقعه البكر عرس .. والمعنى البعيد هو تنقيط دم البكارة من المباشرة، ويلائمه قوله: بكر واقعها، لكن لم أعلم ان احداً من الشعراء المتقدمين ولا المتأخرين وصف الحباب بالصفرة، إلا هذا الأديب...".

وفنِّ لي: ياهمومُ فافترقي ويا خطوبَ الزمانِ فاضطربي
ويا ثغور الاقاح فابتسمي ويا عيونَ الرياضِ فارتقبي
ويا شموعَ الشقيقِ فاشتعلي ويا بنانَ المنثور[24] فاختضبي
ويا لسانَ البنفسجِ إرق رُبي الر روضِ[25]، وحبي من عينِ كلّ غبي
ويا خدودَ الورودِ فافتحي ويا اصفرار البهارِ فارتهبي
ويانداى الطلّ ذي عروسُ ربى فانثرْ نثاراً من لؤلؤٍ رطبِ
ويا حمامَ الاراكِ اقرَ على امةِ ذا الزهرِ أحسنَ الخَطَبِ
وادعُ لقاضي القضاةِ تاج علمِ، وعزِّ الزمانِ والشّعُبِ
أبي المعالي، ومن لهُ الشرفُ البا ذخُ قدراً، ومانحُ الرتبِ
بدرُ سماءِ الوجودِ، دُرّةُ تاجِ الـ فضلِ، كنزٌ لكلِّ مغتربِ
من شهدتْ أنه الفريدَ بذا الـ عصرِ، حليمٌ، صحائفُ الكتبِ
من فخَر الدينَ فيهِ[26]، وابتسمتْ ثغورُه، واعتلى على الحُجبِ

(24) المنثور: نوع من الزهر، تسمية العامة في العراق: الشبوي.

(25) علق الغلامي في: شمامته على هذا البيت بقوله: "وفي قوله: إرق ربى الروض، وحبي من عين كل غبي، استخدام غريب نادر، لان غالب الاستخدامات تكون بإعادة ضمير على أحد معنيي اللفظ المشترك، وهذا بلا ضمير، والاستخدام في قوله: ارق، فانه بالنظر إلى: الربي، يفهم منه معنى الأرتقاء، وهو: الصعودُ، وبالنظر إلى لفظة: اللسان، وقوله: حبي من عين كل غبي، يفهم منه: الرقية، أي: القراءة للجسد من الألم، فإن قلت: لمَ لمْ تجعله توريه، قلنا: التورية لا يريد المتكلم من لفظها المشترك الا المعنى البعيد، وان اظهر إرادة المعنى القريب، وهنا قد أراد هذا الأديب استعمال المعنيين كليهما، فهو استخدام.".

وقد جلا الشكُّ فيهِ، واتضحَ الـ حقُّ، وزالتْ ستائرُ الّريبِ

مولى غدا بابه لوافدِهِ كعبةَ جودٍ، وقبلةَ الطـّلبِ

ما فيهِ عيبٌ سوى مخائله تجلي ظلامَ الهمومِ والكـُربِ

كالبحرِ لو ساغَ في مشاربهِ كالبدرِ لو لفظهُ من الضّربِ

بنى المعالي بجده، وغدتْ أموالهُ للعافاةِ في نهبِ

وقد عشقتْ ذاتهُ العلاءَ، فما تمرحَ إلاّ بروضِ مختضبِ

لا زالَ يسقي العفاةَ من سُحبِ الـ جودِ، ويروي أوامَ ذي نصبِ

التخريج: الروض النضر 127/1.

وقال يشكو:

(خفيف)

إن دهراً أثنى عليَّ بخطبٍ لكثيرٌ ولوعـهُ في خطابي

وشبابٌ تولـّى عني بقربٍ لجديرٌ هلوعـُه بانتسابِ

التخريج: شمامة العنبر/66.

وقال متغزلاً:

(منسرح)

صدتَ نفوسَ الأسودِ يا خنثَ الـ ألحافظِ في سحرِ طرفكَ النافثْ

أعندَ عينيكَ أن أنفسنا في حبها فيكَ عشقـُها حادثْ

(26) ضمن الشاعر "في" معنى الياء.

أم حلفت أنها تصيد، فان لم تكُ تصطادُ حلفُها حانثْ

يا قاضي العاشقين إن لنا خصماً، فهل في فعالِه باحث

هبْ أننا عاشقيه، هل حكموا يكونُ فينا كما يشا عابث

كم من طريحٍ فينا، وكم رجلٍ ماتَ قتيلا ً، وكم فتىً لا هث

وكم وكم فتيةٍ رصينَ اذا نظرنَ فيهِ، ولم يكن باعث

كم مرة ٍ عاهدَ المحبّ على اللثـ ـمِ، وأضحى في عهدهِ ناكث

إناّ رضينا فكم حكمت لهُ في ديةِ القتل ٍ أنه الوارث

كن حكما ً لا عليه، بل له يا جامعَ شملي، ويا أبا الحارث (27)

التخريج: الروض النضر 116/1 – 117،

والأبيات: (1-5،3-7) في: منهج الثقات في تراجم القضاة، مخطوط، الورقة62.

وقال في وصف الطبيعة:

(سريع)

ابتسمتْ بشرى ثغورُ الأقاحْ وبشّرَ الروضَ نسيمُ الصباحْ

وهزتْ الأغصانُ أعطافَها كأنها ترقصُ من شربِ راحْ

وكلّلَ الطّلُّ ثيابَ الرّبى وبلّلَ الطلُّ وجوهَ البطاحْ

(27) أبو الحارث: كنية الأسد.

وعطّرَ العطرُ جيوبَ الصبـّا وجلـّلَ الأفق عبيرُ الرياح

والوردُ قد أقبلَ في شوكهِ يرفـُل في الأزهارِ شاكي السلاحْ
والنرجسُ الغضُّ لهُ قائلُ [28] فما على المرضى السُّكارى جُناحْ

(جاءَ شقيقٌ عارضاً رمحهُ) والسوسنُ المرضي في الروضِ[29] فاح

وقرتْ الأعيانُ عيناً، وقد قرَّ عزيزُ الحكمِ، والعدلُ لاح

من قدمِ السيدِ والمرتضى عدّ تاج المجد كنز الفلاح

التخريج: الروض النضر 157/1.

وقال ملغزاً في تمساح: (سريع)

ما اسمُ خماسيّ إذا صحفَ الـ أكثـُر للـّفظةِ وصف السلاحْ

تمَّ بهِ البدرُ، ولكنّه في الماءِ هامَ زماناً وساحْ

التخريج: الروض النضر 419/1-420.

وكتب إلى الشيخ مصطفى بن علي الغلامي[*]، من جملة المراسلات بينهما:

(طويل)

أيا مـَن لهُ في كلّ فن نتايجُ وأصغرها أعيثْ لمن هو صادحُ

ومن عجزت عنه المذاودُ [30] أن ترى فخاراً، وكادتْ أن تنوء المديحُ

---

(28) قائل = قائلا ـ في: المنهج.

(29) لم نقع على قائل الشطر المضمن في صدر البيت، وتمامه في: الروض: - إن بني عمك فيهم رماح-

(*) من علماء الموصل المبرزين في فقه الشافعية (ت 1140هـ/1727م)، ينظر: (الروض النضر 411/1، شمامة العنبر/145، منهل الأولياء 252/1، أعلام الموصل ـ المخطوط).

ومن ليسَ في ذا العصرِ ضدٌّ مضادداً[31] لبعض الذي يأتيه، والجدُّ فاتحُ
ومن قد فدتْ منذ استطابتْ بإسمه[32] تفيدُ سعوداً في البوادي البوارح

إليك أنت تقري المسائلُ في العُلا وحثَّتْ بأجوازِ الغلاةِ المنايحُ[33]

فلو علمَ العافونَ أن مقامكم بديع لما كانَ البيانُ يجانحُ

فإن أطنيتْ في مدحـِه، لم تكن تفي بمعشارِ ما فيهِ العلومُ الصوادحُ

لقد أسمع الصادي الفؤادِ أو آن ما تفارقَ منكم سائلُ المحن[34] قادحُ

وقد كانَ في تجهيزِ ما هو قائلٌ بإرسالهِ في الأمسِ، والعلمُ فايحُ

فأوحيت ما فيهِ، ولكن ظننتهُ خلافاً، فأرسالي إليكم تسامحُ

وذلك بيتانِ، وظني فيهما سؤالٌ لأرباب الجهالةِ فاضحُ

لنا إيلٌ ما روعتها الصفايحُ ولا نفرتـْها بالصياحِ الصوايحُ

إذا سمعتْ أضيافنا من رعاتها أتينَ سراعاً يبتدرنَ الذبائحُ[35]

فما الوجهُ في رفعِ الذبائحِ فيهما ووجهُ وجوبِ النصبِ فيهنَّ لائحُ

---

(30) المذاود، جمع مذود: اللسان.

(31) فك الإدغام في: "مضادد" للضرورة.

(32) قطع همزةُ الوصل في: "باسمه" للضرورة.

(33) المنايح: النوق.

(34) المحن: العطية.

(35) يبتدرن = يتبدرن ـ في: الأصل. والصحيح: الذبائح، بالنصب وهذا هو سؤال الشاعر في البيت التالي.

فأرسلْ جواباً عن سؤالي، وإن يكن وضيحا ً[36] لديكم لا يليهِ الجوامحُ

وما قلتهُ من بعدِ هذا، فإنني لمرسلهِ ما دام صفوٌ وصالحُ

وكن مرسلاً ً لي ما يكونُ جوابُه شديدا ً، فإني باقي الودِّ كادحُ

التخريج: الروض النضر 175/1.

وقال في صدر رسالة إلى قاضي عسكر أناضولي، تهنئة له بالعيد:

(طويل)

أهنيكَ في العيدِ الذي أنتَ في الورى كما هو في الأيام أصبحَ مفردا ً

فلا زالتِ الأيامُ أعيادَ كلـّها يسعدكَ، والأعدا [37] ببابكَ سُجـّدا

التخريج: الروض النضر 172/1، منهج الثقات، مخطوط، الورقة125.

وقال منعزلاً ً بغلام يضرب الرمل:

(طويل)

فتنتُ برمالٍ حلا عذبُ ريقهِ وفي ثغرهِ الدرَّ الثمينُ تنضدا

رأيت بخديه بياضا وحمرة فقلتُ: لكَ البشرى اجتماع تولدا

التخريج: الروض النضر 74/1

وقال في صدر رسالة إلى قاضي عسكر الروم، تهنئة له بالعيد:

(طويل)

(36) في الأصل: وضيح، بالرفع.

(37) سهلت همزة "الأعداء": للضرورة.

أهنيكَ في عيد ٍ سما بكَ رفعة ً وما كان لولا النحرُ يعرفُ عيدُ

فأنتَ بهِ الأيامَ عيد ٌ على الورى وهذا عليهم كلَّ عام يعودُ

التخريج: الروض النضر 127/1.

وقال مضمناً بيتاً للمتنبي في الحكمة:

(طويل)

أخي لا تلمْ دنياكَ، هذا مقدرُ قربُ الذي قد فاتَ آتٍ وعائدُ

(بذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلها مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ) (38)

التخريج: الروض النضر 118/1-119.

وقال في بعض مراسلاته:

(كامل)

لا تحسبوا أني نسيتُ عهودكم وقطعتُ حبلَ رسائلي ووادي

لكنَّ من خوفً تراكم أسطري قبلي، قطعتُ كتابتي ومِدادي

التخريج: الروض النضر 172/2.

وقال متغزلاً بمليح له خال:

(كامل)

خالَ المفنّدُ: أنَّ خالَ مُعذّبي خال ٍ عن الفحوى بوجنةِ خدهِ

هيهاتَ ليسَ كما يخالُ، وإنما عمَّ الجمالُ، فذاك خاتمُ جدهِ

(38) ينظر بيت المتنبي في: شرح ديوانه، الذي وضعه البرقوقي، نشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص399.

التخريج: الروض النضر 160/1 – 161.

وقال ملغزاً في قلم:

(كامل)

ما اسمٌ لمن قهر العتا ... ةَ[39]، وذلَّ أصحابَ العساكرْ

وجرى بميدانِ البرا ... زِ، وجرَّ أذيالَ التفاخرْ

كم سؤددٍ، وهو المسو ... ودُ قد كساهُ لكلِّ زاهرْ

كم من أميرٍ قد خفي ... أضحى بهِ بالضرِّ آمرْ

ذو مرودٍ لو لم يكن ... سيفاً لما قد كانَ باترْ

ذو سطوةٍ لو لم يكن ... ملكاً لأسس العزمُ فاتر

أفعالُه اللائي سُرر ... نَ ملأنَ أفئدةَ الدفاتر

ألفاظُه اللائي رضيـ ... نَ ظنن فيها سحرَ ساحر

قاضي أولي[40] بأس ٍ شديـ ... دٍ، عادلٌ لكنَّ جائر

هو مرسلٌ ومصدقٌ ... قد جاءَ في القرآنِ ظاهر

قد أظهر الإعجاز في ... آياتهِ، وتراهُ شاعر

---

(39) رواية الصدر في: الأصل: ماسم لمن قهر الجبابرة العتاة ...، مما يفسد وزن البيت.

(40) استعمل: "أولي" خطأ، بدل: "ذو"، لضرورة الوزن.

لكنَّ أكذبَ ما يكو نَ إذا رقى فوق المنابر

ومن العجائبِ أنه لا يخلو من قبر ٍ وقابر

فأعجبْ لمقهور ٍ وقاهر لا بلْ لمأسور ٍ وآسر

هو في ثلاثٍ، بل ثلاثي ثٍلثهِ في القبضِ دائر

في كلّ قلبٍ منـه جز آنِ، وجزءٌ فيهِ آخر

والجزءُ جزآهُ كجز ءٍ منهُ إن ترقيهُ فاخر

فأبنه إن فقتَ الأوا ئلَ عزةً، وكذا الأواخر

وبرحتَ ممن ينشر المخـ ـفي في عليِّ السرائر

التخريج: الروض النضر 172/2.

وقال متغزلاً بمليح له خال:

(رجز)

وقائلٍ عرَّضَ لي في خالِ محبوبي وجرْ

بأنـّه ليسَ كما قالوهُ حلواً ذا حـوَرْ

لأنهُ أسودْ [41] بهِ قلتُ لهُ: فيهِ نظرْ

(41) سكن دال: "أسود" لضرورة الوزن.

Abstract

Abdul – Baqi bin Murad Al – Umari Al-Mousili

(Died 1109 A.H./ 1697 A.D.)

Abd Allah Ahmola (*)

This poet was born and brought up in Mosul. He studied the different sciences by many sheikhs. He also taught and showed great credit. He travelled many times to the Roman's Empire and the capital of the Othomans stata, met its scholars, and benefited from them. When he was back, he ruled the District of Mosul and taught at the Younisi Prophetic place.

Historians appreciated his writing and sciences and regaraded him as a nobleman of twelfth centary A.H.

In the present research, We have collected and reuised his poetry. Light has been shed on it all for the

(*) College of Arts / University of Mosul.

puroose of the Mosuli Library and Arabic Islamic Heritage.